صورة الإسلام في الغرب بين الماضي والحاضر

د. السيد رزق الحجر(*)

تقديم

من المعروف أن الكثيرين من الكتاب الغربيين قد اعتادوا منذ الأحداث التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية في سبتمبر من عام ٢٠٠١ . أن يكيلوا الاتهامات للإسلام ولحضارته ولأتباعه في كل مكان، فقد أبرزت هذه الأحداث اتجاهًا قويًا في الغرب يعادي الإسلام والمسلمين ويسعى إلى رسم صورة لا تمت بصلة إلى حقيقة هذا الدين .

هذا الموقف في الحقيقة ليس جديدًا، ولا يعدو أن يكون مجرد استدعاء أو إحياء لتلك الصورة التي عمد المستشرقون ودعاة التنصير – منذ العصور الوسطى – إلى ترسيخها في ذهن كل أوربي، ثم في ذهن كل غربي في شكل حقائق مسلمة لا تقبل أي محاولة للنقد أو التصحيح .

وفي هذا البحث نحاول التعرف على الخلفية التاريخية والحضارية التي في إطارها تشكلت لدى الغربيين أول صورة عن الإسلام والمسلمين. وهي نفس الصورة التي يسعى بقوة إلى إحيائها اليوم عدد من المستشرقين الجدد من أمثال " برنارد لويس " و" دانييل بايبس " و" صمويل هنتجون " وغيرهم ممن يروجون لفكرة حتمية الصدام بين الإسلام والغرب، وهي الفكرة التي تعتنقها الكثرة الغالبة في الإدارة الأمريكية الحالية، وهم المصنفون في اتجاه " المحافظون الجدد " .

فالتعرف على الصورة القديمة للإسلام يمثل الجانب الأول في هذه الدارسة الموجزة، بينما يمثل الجانب الثاني منها محاولة للكشف عن ملامح الصورة الحديثة

(*) أستاذ الفلسفة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة .

والمعاصرة للإسلام في عيون الغربيين وعقولهم بحيث يمكننا - من خلال وضع كلتا الصورتين إزاء الأخرى - أن نتبين وجوه الشبه والاختلاف بينهما من جهة، ومعرفة ما إذا كانت هناك إمكانية لقيام علاقة سوية بين الإسلام وحضارته والغرب وحضارته من جهة ثانية .

والله المستعان، ،

المبحث الأول
صورة الإسلام في الغرب قديمًا

لا شك أن محاولة الكشف عن طبيعة الصورة التي تلقاها الغربيون عن الإسلام في الماضي تستوجب التعرف على أولئك الذين قاموا بالدور الرئيسي في تشكيل هذه الصورة، ولما كان أصحاب هذا الدور هم " المستشرقون " ومعهم من يعرفون باسم " المبشرين " فإن حديثنا سوف يدور حول دائرة الاستشراق والتنصير.

لكنني لا أريد الخوض في الميادين المتعددة التي يُتناول من خلالها الاستشراق والتنصير كالجوانب التاريخية والجوانب المتعلقة بالأهداف التي سعى إليها المستشرقون، والوسائل التي سلكوها لتحقيق هذه الأهداف، وإنما أجدني مضطرًا للقفز على الكثير من التفاصيل المتعلقة بهذه الموضوعات – وقد أصبحت مشهورة معروفة للكثيرين – لكي أجيب عن هذا السؤال.

ما طبيعة هؤلاء الذين قدموا للمواطن الأوربي – ثم الغربي عمومًا – أول صورة عن الإسلام والمسلمين ؟ وما طبيعة نواياهم ؟ وهل كانت الموضوعية – وهي باتفاق العلماء أساس القبول لكل بحث علمي – متوفرة في بحوث هؤلاء المستشرقين ودراساتهم عن الإسلام ؟

إن التتبع الدقيق والاستقراء التام لتراجم أولئك الذين قاموا على الاستشراق ووجهوا حركته منذ بدايتها – مع بداية الألفية الثانية – وحتى نهاية ما يعرف في التاريخ الأوربي باسم " العصور الوسطى " على الأقل، يسمح لنا بإصدار هذا الحكم العام دون أدنى تخوف من مخاطرة التعميم وهو أن كل مستشرقي هذه الفترة – وهم الذين شكلوا أول صورة عن الإسلام – كانوا من رجال الكنيسة . ومعنى ذلك أنهم بحكم وظيفتهم الأساسية في الكنيسة كانوا " مبشرين " أو دعاة للنصرانية . فلم تشهد هذه المراحل الأولى من مراحل الاستشراق، والتي تمتد إلى عصر النهضة الأوربية، بل

تتجاوزها لم تشهد أدنى انفصال بين شخصية المستشرق وشخصية المبشر" وإنما اجتمع كلاهما في شخص واحد، أي أنهما كانا وجهين لعملة واحدة(١).

فإذا كان المستشرق والمنصر يجتمعان في شخص واحد، وكان الواجب الأساسي لهذا الشخص - كأحد رجال الكنيسة - محددًا سلفًا بأنه - كما صرح به الكثيرون منهم - طعن الإسلام بسيف الكتاب المقدس، فإنه يكون قد اختار لبحوثه ودراساته أي وصف آخر غير وصف الموضوعية والأمانة العلمية، فقد كان في كل خطوة يخطوها، وفي كل كلمة يسطرها باعتباره مستشرقًا لا تجد لها إلا مبررًا واحدًا هو إنجاح عملية التنصير بصفته واحدًا من رجال الكنيسة واعتبار التنصير أو "التبشير" أول واجباته المقدسة.

ذلك هو الجانب الأول في طبيعة أولئك الذين نقلوا للغرب أول صورة عن الإسلام والمسلمين وقد بدا لنا خاليًا عن أول أوليات البحث العلمي وهو الموضوعية والأمانة العملية.

أما الجانب الثاني فيختص بطبيعة العقلية التي كانوا عليها أثناء قيامهم برسم هذه الصورة الزائفة عن الإسلام وأهله، ولما كان مسلمًا أن الفكر صورة للعقل الذي أنتجه، وأن العقول الضعيفة لا تنتج عظائم الأفكار، كان لا بد لنا من وقفة مع طبيعة العقلية التي تولت تقديم الإسلام للغرب.

وأنبه منذ البداية إلى أني في بياني لطبيعة هذه العقلية لن أعتمد على أي مرجع إسلامي حتى لا تكون هناك أدنى شبهة للتعصب أو الميل العاطفي وإنما ستكون مراجعي هنا لكتاب غربيين يعدون بين أشهر المؤرخين ودارسي الحضارات من أمثال "ديورانت" وكولتون" و" روم لاندوم" وغيرهم.

---

(١) لمعرفة هذه الحقيقة راجع نجيب العقيقي: المستشرفون (ثلاثة أجزاء) الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٠، فالتراجم التي تتضمنها للمستشرقين تبين أنهم كانوا - حتى القرن السابع عشر على الأقل - من رجال الكنيسة.

والآن ما رأي كتاب الغرب ومفكريه في العقلية الأوربية في العصور الوسطى، وهي العقلية التي قامت بمهمة تعريف الغرب بالإسلام ؟ إن الضعف والسذاجة والسطحية والبدائية تمثل كلها سمات أساسية للعقل الأوربي في العصور الوسطى .

يقول المؤرخ الهولندي الشهير " يوهان هويزنجا " : كثيرًا ما يبدو لنا أن عقلية العصور الوسطى المتدهورة تظهر من السطحية والضعف ما لا يصدقه عقل فهي تجهل التركيب المرتب للأشياء بطريقة مذهلة ،وهي تنطلق إلى التعميمات بغير تردد معتمدة على دليل واحد، وتعرضها لإصدار الحكم الخاطئ بشكل مفرط لا حد له . لذا فإن عدم الدقة وسرعة التصديق والطيش وعدم الاتساق المنطقي من الملامح الشائعة في الاستدلال المنطقي في العصور الوسطى "(١).

وإذا كان " هويزنجا " يختار نماذجه للاستدلال على هذه الصفات العقلية من خلال الحياة والفكر والفن الأوربي، فإن الباحث فيما خلفه المستشرقون في هذه الفترة من تراث حول الإسلام والمسلمين، يستطيع بسهولة أن يعثر على الكثير من النماذج والأحكام التي تدل بوضوح على صحة ما ذهب إليه، وهنا نقف على مدخل جديد لدحض دعاوي المستشرقين وبيان زيف الصورة التي رسموها للإسلام على أساس داخلي يختص بطبيعة العقلية التي اضطلعت برسم هذه الصورة .

من الأدلة على ذلك مثلا إعلان أحد المستشرقين (جيبير النوجنتي ت ١١٢٤ م) أنه لا يعتمد فيما كتبه عن الإسلام على أية مصادر مكتوبة، وأنه يشير فقط إلى آراء العامة، وأنه لا توجد لديه أية وسائل للتمييز بين الخطأ والصواب، ثم يبرر هذه المنهج اللاعلمي واللاأخلاقي أيضا بقوله : "لاجناح على المرء إذا ذكر بالسوء ديناً يفوق خبثه

---

(١)هويزجا : اضمحلال العصور الوسطى، دراسة لنماذج الحياة والفكر والفن بفرنسا والأراضي المنخفضة، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨ م ص ٢٨٨.

كل سوء يمكن أن يتصوره المرء "[1].

وهكذا يجد القارئ نفسه أمام نوع من التعميمات التي يعترف صاحبها أنه ليس لديه عليها أي دليل، بل يقرر أنه لا يحتاج في إصدار مثل هذه التعميمات إلى أي دليل !! ألا يدل ذلك بوضوح – فضلاً عن تعمد الكذب والإصرار عليه – على صحة ما ذهب إليه " هويزنجا " من ضعف العقلية الأوربية وسذاجتها آنذاك.

إن مثل هذا المسلك ليؤكد لنا أن " هويزنجا " كان غاية في الدقة حين وصف الأوربيين في العصور الوسطى بأنهم كانوا " يعيشون في أزمة عقلية مستمرة، فلم يكنوا يستغنوا لحظة واحدة عن أحكام خاطئة من أغلظ نوع.. "[2].

كذلك كان ميلهم الشديد إلى المبالغة والتهويل، وولعهم باختراع الأكاذيب في هذا الزمان مضرب الأمثال، يقول " هويزنجا " : وأخيرًا، ماذا عسانا نقول عن الخفة العجيبة التي يتسم بها المؤلفون قرب نهاية العصور الوسطى. تلك الخفة التي تبدوا لنا كأنما هي انعدام مطلق للقوى العقلية !! إذ يبدو لنا أحيانًا أنهم يقنعون بأن يقدموا لقرائهم مجموعة مسلسلة من الصور غير الواضحة، وأنهم لا يشعرون مطلقًا بأية حاجة إلى التفكير الجاد والعميق حقًا .. وانعدام الدقة لديهم أليم مستوجب للرثاء ..."[3].

إن هذا الحكم على عقلية العصور الوسطى – وضمنها بالطبع عقلية المستشرقين ودعاة التنصير – نلتقي به كذلك عند مؤرخ الحضارة الشهير" ول ديورانت " الذي يذكر أن الصدق والأمانة كانا منعدمين تماما لدى الأوربيين في هذه الفترة، ويعلن أنهم كانوا

---

(١) الدكتور محمود زقزوق : الاستشراق والخفية الفكرية للصراع الحضاري، الكتاب الخامس في سلسلة :" كتاب الأمة " الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٠٥ هـ. ص ٢٢، وانظر، الدكتور عبد الجليل شلبي : صور استشراقية، الطبعة الثانية، دار الشروق، سنة ١٤٠٦ هـ، ص ٢٩.

(٢) اضمحلال العصور الوسطى .. ص ٢٢٩.

(٣) السابق ص ٢٣٠.

يكذبون على أبنائهم وأزواجهم، وطوائفهم ،وأعدائهم، وأصدقائهم وحكوماتهم وربهم، وأن الواحد منهم كان مولعًا أشد الولع بتزوير الوثائق، يزور الأناجيل غير الصحيحة، ويزور الأوامر البابوية ليتخذها سلاحًا في السياسة الدينية، وأن الرهبان الأوفياء – بتعبير " ديورانت " كانوا يزورون العهود ليكسبوا بها منحًا لأديرتهم من الملوك (١).

فإذا كان هذا حال الأوربيين عمومًا وكان هو حال الطبقة الممثلة للمثقفين والمفكرين آنذاك وهي طبقة رجال الكنيسة – وهي الطبقة التي أخذت على عاتقها تزييف الإسلام وتشويه صورته، فهل يتصور المواطن الأوربي أو الغربي المعاصر أن هؤلاء قد نقلوا له صورة صحيحة أو قريبة من الصحة عن الإسلام والمسلمين !!

ممن أكدوا هذه الصفات للعقلية الأوربية كذلك " جورج كولتون " – وهو أحد المتخصصين في تاريخ العصور الوسطى – ففي كتابه عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة " يذكر أن الكنيسة قد تسلطت على عقول الناس ومقدارتهم، وأن نظرة أهل هذه العصور إلى الحياة كانت " نظرة ضيقة في نطاق المسيحية التي كانت تدعو إلى التفكير في العالم الآخر، فكان يقبل كل شيء دون فهم أو إدراك أو مناقشة، وخضع لآراء الكنيسة وتعاليمها خضوعًا أعمى، وأصبح يصدق كل ما يقال له من الخزعبلات والخرافات "(٢).

ويقرر " كولتون" أن الأوربيين كانوا يعانون آنذاك من نقص أليم في الوعي التاريخي، وينفي عن راهب العصور الوسطى صفة العالم الكلاسيكي ويعتبر النظرة إليه على هذا النحو ضربًا من الخيال . يقول : " أما رؤيا الكاردينال " نيومان " التي تراءى له فيها راهب العصور الوسطى على أنه عالم كلاسيكي فيغلب عليها عنصر الخيال إلى

---

(١) قصة الحضارة ترجمة محمد بدارن ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، الجزء الخامس من المجلد الرابع، ص ١٨٧.

(٢) جورج كولتون : عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة وتعليق الدكتور جوزيف نسيم يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية سنة ١٩٨٣ م، ص ١٧، وانظر، ص ٥١.

حد بعيد "[1].

إذا أضفنا إلى ذلك الحال الذي كان عليه العقل الأوربي في العصور الوسطى ذلك الهلع الذي أصاب رجال الكنيسة بسبب السرعة التي انتشر بها الإسلام كان لنا أن نفهم الأسباب التي من أجلها سعى هؤلاء إلى التشويه المتعمد لصورة الإسلام والمسلمين.

يقول الدكتور "مايكل هارت " مصورًا حالة الفزع التي أصابت الأوربيين عامة ورجال الكنيسة خاصة بسبب الانتشار السريع الذي تفرد به الدين الإسلامي : ولبرهة من الزمن كان يبدو، وكأن العرب سوف يحتاجون جميع أوربا المسيحية، ولكن في عام ٧٣٢ م، وفي معركة تورز انكسر الجيش الإسلامي الذي كان قد تقدم ووصل إلى أواسط فرنسا على يد جيش الفرنجة، وبالرغم من ذلك فإنه – وفي قرن شحيح من القتال استطاعت هذه القبائل البدوية التي كانت تلهمها كلمات الرسول - ﷺ - أن تظفر بتأسيس إمبراطورية تمتد من حدود الصين حتى المحيط الأطلسي. وهي أعظم إمبراطورية شهدها العالم حتى ذلك الوقت – وحيثما كانت تصل الفتوحات كان يتبعها اعتناق عدد كبير من الناس للدين الجديد على أوسع نطاق "[2].

وقد تكرر التعبير عن هذا المعنى في كثير من الكتابات الغربية قديمًا وحديثًا حتى أننا نقف عليه في واحد من أحدث هذه الكتابات وهو كتاب "الإسلام وخرافة المواجهة " ففيه يشير المؤلف إلى أنه " بعد ظهور الإسلام " في القرن السابع أصبحت للمسيحية الأرثوذكسية حدود متحركة – غالبًا ما كانت عدائية – مع العالم الإسلامي الذي كانت تفقد أمامه الأرض بالتدريج مما أدى إلى سقوط القسطنطينية في ١٤٥٣ م . وفتح العثمانيين للبلقان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر "[3].

---

(١) المرجع السابق : ص ٥٤.

(٢) مايكل هارت : المائة الأوائل، ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان، الطبعة الثالثة، دار قتيبة سنة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، ص ٢٢، وقارن توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ترجمة د. حسن إبراهيم عبد المجيد عابدين، ط النهضة المصرية سنة ١٩٧٠، ص ٦٣ وما بعدها.

(٣) فريد هاليداي : الإسلام وخرافة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط، ترجمة محمد مستجير، الطبعة الأولى، مكتبة مدلولي، سنة ١٩٩٧، ص ١٩٤.

هذه الفكرة – فكرة الفزع الذي أصاب الأوربيين وخاصة رجال الكنيسة من قدرة الإسلام على الانتشار – هذه الفكرة نلتقي بها عند الكاتبة الشهيرة " كارين آرمسترونج " ففي تحليلها لأسباب العداء بين الغربيين والإسلام تقول : " حتى ظهور الاتحاد السوفيتي في قرننا لم يسبق أن شكلت أية دولة أو أيديولوجيا تحديًا مستمرًا للغرب مثل التحدي الذي شكله الإسلام، فعندما شيدت الإمبراطورية الإسلامية في القرن السابع كانت أوربا مختلفة وسرعان ما اجتاح الإسلام معظم العالم المسيحي في شرق المتوسط إضافة إلى الكنيسة الكبيرة في شمال إفريقيا التي كانت تحظى بأهمية كبيرة لدى الكنيسة في روما . كان هذا النجاح الباهر نذير خطر دفع الغرب إلى التساؤل إن كان الله قد تخلى عن المسيحيين وأسبغ عطفة على الكافرين ؟ لقد بقي هذا الخوف القديم من الإمبراطورية الإسلامية المتسعة حتى عندما تعافت أوربا من العصور المظلمة . ولم تستطع أوربا حتى بعد أن أسست حضارتها العظيمة أن تحدث تأثيرًا على هذه الثقافة الديناميكية المقتدرة للإسلام ..." (١).

ويؤكد " هوفمان " هذا المعنى حين ذكر – في تحليله لأسباب عداوة أهل الغرب للإسلام أن الغربيين قد اعتادوا منذ العصور القديمة أن ينظروا إلى الإسلام على أنه : " شكل وكيان ذو صيغة واحدة، ونظام صارم لا يعرف المرونة يخشاه الغرب ويخافه . هذا هو الوصف الدقيق للمشاعر التي حكمت علاقة الإسلام منذ القدم وإلى يومنا هذا، الرعب والخوف، لقد بدأ هذا منذ التوسع المذهل للإسلام في القرنين السابع والثامن الميلاديين، هذا التوسع الذي ما يزال يذهلنا حتى يومنا هذه، ولا نفهم أسبابه " (٢).

والذي يهمنا أن نؤكده – استنتاجا من كل ما سبق – هو أن الصورة الأولى

---

(١) كارين آمسترونج : الإسلام في مرآة الغرب ،محاولة جديدة في فهم الإسلام، ترجمة محمد الجورا، الطبعة الثانية، دمشق، سنة ٢٠٠٢، ص ١٣.

(٢) الدكتور مراد هوفمان : الإسلام في الألفية الثالثة، ديانة في صعود، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق، سنة ١٤١٢ هـ – ٢٠٠١ ص ٦٨.

للإسلام قد تشكلت في ظروف لا تنتج سوى العداء لهذا الدين فقد رسم معالمها رجال الكنيسة الأوربية في ظل ظروف من الصراع المستميت الذي خاضته الكنيسة في سبل المحافظة على نفوذها والتوسع فيه قدر الإمكان، وفي إطار عقلية أوربية تبينا من قبل طبيعتها، إضافة إلى حالة الفزع التي رسخها المستشرقون في نفوس الغربيين من هذا الدين .

من هنا جاء تصويرهم للإسلام على أنه قوة خبيثة شريرة، وأنه من عمل الشيطان، وأنه منبع الزندقات والحركات الهدامة، وأنه مزيج مشوه تجمع من أصول نصرانية ويهودية تلقاها محمد ﷺ عن أساتذته من أحبار اليهود ورهبان النصارى . وهكذا أصبح الإسلام عندهم – وفي تعبيرهم – دنسا يجب التحرز والابتعاد عنه وخبثا يفوق سوءه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء .

كذلك كان القرآن – في رؤيتهم – نسيجًا من السخافات يناقض العقل ويعاديه ويعوقه عن التفكير، أما النبي ﷺ فقد نعتوه بأوصاف يرفضها أي إنسان يحترم عقله وإنسانيته .

لقد نسجوا في وقت واحد – كما تقول " كارين آرمسترونج " – صورًا مخيفة عن اليهود، وصورة مشوهة عن الإسلام، وكان هذا يعكس مخاوفهم الدفينة منه (١) .

وتزيد آرمسترونج هذه الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب إيضاحا فتقول : " لقد شجب العلماء الغربيون الإسلام بدعوى أنه دين تجديفي وشجبوا نبيه محمداﷺ بدعوى أنه المدعي الأكبر وجعلوا من اسم محمد – الذي حرف إلى ماهوند – بعبعًا للناس في أوربا تستخدمه الأمهات في إخافة أطفالهن عندما لا يمتثلون لأوامرهن . كما صور في المسرحيات الصامتة على أنه عدو الحضارة الغربية الذي حارب قديسنا

---

(١) الإسلام في مرآة الغرب. ص ١٤.

الشجاع جورج[1].

وإذا كانت هذه بعض ملامح الصورة التي قدمها إلى الغرب عن الإسلام ونبيه ﷺ. فإن المسلمين كذلك كانوا – في هذه الصورة – قومًا من الهمج، والبرابرة، واللصوص، وسفاكي الدماء، يأكلون لحوم البشر، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، وينأى بهم عن كل سمو روحي وأخلاقي، فهم ليسو سوى نوع من المتوحشين لا يكاد يحظى بميزة إنسانية[2].

تلك هي صورة الإسلام في عيون الغربيين وفكرهم في القديم، فماذا عن صورة الإسلام في الوقت الراهن ؟ هل اختلفت هذه الصورة في الحاضر عنها في الماضي ؟ إن الجواب عن ذلك ينقلنا إلى المبحث الثاني.

---

(١) المرجع السابق، نفس الموضع، وقارن روم لاندو : الإسلام والعرب ترجمة منير البعلبكي، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ١٩٧٧ م، ص ٣٣ ،والدكتور مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٥ هـ، ص ١٦، وانظر : أيضا المستشرقون الناطقون بالإنجليزية للأستاذ طيباوي، ملحق بكتاب الدكتور محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث ص ٤٧٥.

(٢) انظر روم لاندو : الإسلام والعرب ص ٣٣ وما بعدها.

المبحث الثاني
الصور المعاصرة للإسلام في الغرب

رأينا فيما سبق أن الصورة التي رسمها مستشرقوا العصور الوسطى للإسلام جاءت عارية تماما عن الموضوعية، بل إنها لم تتضمن أي شيء إيجابي عن الإسلام والمسلمين، وحتى " روجر بيكون " (١٢١٤ -١٢٩٤م) الذي تشير إليه بعض الأقلام باعتبار أن دعوته إلى تدريس اللغات الشرقية في جامعات أوربا إنما كانت " لأغراض علمية صرفة "[(١)] لم يكن كذلك في حقيقة الأمر.

صحيح أنه كان - كما صوره " بريفالت " شديد الحماس لتعلم اللغة العربية وعلوم المسلمين، وأنه لم يكن يتردد في " إقرار أن الطريق الوحيد لمعاصريه إلى العلم الحقيقي هو تعلم العربية، وتعلم العلوم العربية "[(٢)]، لكنه لم يكن في الحقيقة مبشرًا باتجاه جديد لفهم موضوعي للإسلام وحضارته، إذ كانت غايته من الدعوة لتعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية هي خدمة أغراض " التنصير في العالم الإسلامي .

فقد ضمن "بيكون" أهدافه تلك في رسالة وجهها إلى البابا مبينًا أهمية تعلم لغات المسلمين لغرض التنصير، وكذلك أهمية " دراسة أحوال من يراد ردتهم لتسهيل معرفة المسارب التي منها يمكن النفاذ إلى عقيدة المسلمين لهدمها وتقويضها "[(٣)]. فالتنصير - فيما يري بيكون - هو الطريقة الوحيدة التي يمكن بها توسيع رقعة العالم المسيحي، وكان رأيه - كما يقول "ساذرن " أنه لا بد من توافر ثلاثة شروط، **أحدها** : معرفة

---

(١) نجيب العقيقي : المستشرقون، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٠ ج١ ص ١١٨.

(٢) روبرت بريفالت : أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية، وهو فصول مختارة من كتاب بريفالت، تكوين الإنسانية، ترجمها السيد أبو النصر أحمد، الحسيني، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م ص ١٥٢.

(٣) الدكتور عرفان عبد الحميد : المستشرقون والإسلام، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص ١٢.

اللغات الضرورية، **وثانيهما** : دراسة أنواع الكفر وتمييز بعضها من بعضها الآخر، وثالثها : دراسة الحجج المضادة حتى يمكن دحضها " (١).

وهكذا انتهت أوربا من عصورها الوسطى وخرجت إلى عصور نهضتها دون أن تبدوا منها أية بادرة للقرب من الإسلام أو التخلي عن عدواتها التقليدية له، وبالرغم من ظهور محاولات جادة من بعض المفكرين الغربيين خلال القرون الثلاثة الماضية لرسم صورة صحيحة أو قريبة من الصحة عن الإسلام فإن هذه المحاولات كانت خافتة جدًا إذا قيست بالفهم الغربي العام للإسلام وهو الفهم الذي رسخته العقلية التي نتجت عن الحروب الصليبية، وهي العقلية التي ما زالت – كما يقول " هوفمان " تشكل وتحدد العلاقات المشتركة بين الغرب والإسلام . لقد أثبت كل من **Noama Daniel** و **Cluade Cahen**..أن آباء ومؤسسي فكرة الحروب الصليبية استعانوا لإشعال الكره ضد كل ما هو إسلامي – خاصة ضد محمد – استعانوا لتحقيق هذا بحملة متقنة لنشر الجهل بكل ما هو إسلامي ،وحجب كل المعلومات الصحيحة، ونشر معلومات مغلوطة بين الناس"(٢).

هذه الروح الصليبية وجدت فرصتها – بكل ما تضمره للإسلام من حقد خلال القرن التاسع عشر حيث تم للغرب استعمار معظم بلدان العالم الإسلامي ونجح في إضعاف دولة الخلافة الإسلامية وتمزيقها، فظهرت نتيجة لذلك نزعة جديدة عاشت جنبا إلى جنب مع تلك الروح الصليبية الموروثة، تلك هي نزعة الاستعلاء والعنصرية الغربية التي " كانت تمد الأوربيين بالاعتقاد المريض، الاعتقاد بتفوقهم على الأعراق الأخرى، وأن خلاص عالم آسيا وأفريقيا البربري وتمدينه رهن مشيئتهم (٣).

---

(١) الدكتور محمود زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ..ص ٧.

(٣) كارين آرمسترونج : الإسلام في مرآة الغرب .. ص ٤٣.

ومن السهل أن نقف على هذه لنزعة الاستعلائية العنصرية المفعمة بالروح الصليبية في عدد كبير من مستشرقي القرن التاسع عشر والقرن العشرين الذين وضعوا كل إمكانهم ومعارفهم عن العالم الإسلامي في خدمة أهداف المستعمرين وعملوا كمستشارين في وزارات الاستعمار والخارجية من أمثال " لويس " ماسينيون " و" دي ساسي " و" أرنست رينان " في فرنسا، و" بارتولد " في روسيا، و" كارل بيكر " في ألمانيا، وسنوك جرونيه " في هولندا وغيرهم ممن أشار إليهم المستشرق المعاصر " اشتيفان فيل " حين قرر أن هناك جماعة " يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين . وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة (١).

بل إن هذه الروح الاستعلائية العنصرية تظهر بوضوح في تصريحات قادة الاستعمار ومعاونيهم من المستشرقين والتي ركزت على جانبين، أحدهما أن الإسلام هو القوة الحقيقة التي تحول دون استقرار الاستعمار في البلاد الإسلامية ومن ثم يجب القضاء عليه أو استبعاده، وقد شكى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك :" جلادستون " من عجز قواته عن البقاء والاستقرار في مصر طالما كان هذا الكتاب " القرآن الكريم " في أيدي المصريين .

ثانيهما :الحط من شأن الشرقيين وتحقيرهم وتسفيه عقولهم مع الإعلاء من شأن الغربيين الذين اختص جنسهم بالتميز والرقي في جميع المجالات، ويدخل في هذا الجانب المقارنات التي عقدها " رينان " بين الجنس السامي والجنس الآري والإشارات التي ذكرها " هانوتو " عن الشعب الفرنسي مقارنًا بالشعب الإسلامي " إن شعب فرنسا قد تقلد زمام إدارة شعب آخر، وهو ذلك الشعب المنتشر في الأرجاء الفسيحة . والمتبع لتقاليد وعادات غير التي نحنوا لها ونحترمها .. هو الشعب الإسلامي السامي

---

(١) الدكتور محمود زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ٢٤.

الأصل الذي يحمل إليه الشعب الآري المسيحي " ملح المدنية وروحها " (١).

وقد ظل هذان الجانبان – الخوف من الإسلام وكراهيته والحط من شأن العقلية الشرقية – ماثلين بوضوح في التفكير الغربي خلال القرن العشرين، تقول الكاتبة " آرمسترونج " " ذات مرة قال لي السير " ألفريد ليل " الدقة بغيضة على العقل الشرقي، وينبغي على كل انجلو هندي أن يتذكر تلك البديهية دائمًا . حقيقة أن الافتقار إلى الدقة الذي قد ينزل ويكل سهولة ليصل إلى حد الكذب هو سمة العقل الشرقي الرئيسية، فالأوربي معلل دقيق، وتعابيره عن الحقيقة لا لبس فيها، إنه منطقي بالفطرة مع أنه قد لا يكون درس المنطق ألبتة .. بالمقابل، العقل الشرقي مثل شوارع الشرق الجميلة يفتقر إلى التناسق بشكل ملحوظ " (٢).

من الممكن كذلك أن نلمس بروز الروح الصليبية بعد نجاح الهجمة الاستعمارية على بلدان العالم الإسلامي في تصرفات بعض القادة الغربيين التي كشفت عن الارتباط القوي بين الإمبرالية الغربية والعمل التبشيريّ المسيحي والروح الصليبية القديمة " فعندما وصل الجنرال : " اللنبي " إلى القدس عام ١٩١٧ أعلن أن الحملات الصليبية قد اكتملت، وعندما دخل الفرنسيون " دمشق " سار قائدهم إلى ضريح صلاح الدين في الجامع الكبير وصاح : ها قد عدنا يا صلاح الدين " (٣).

يندرج في هذا الإطار كذلك ما ورد في تقرير لجنة التخطيط الاستراتيجي المتكامل في الولايات المتحدة الأمريكية الصادر في عام ١٩٨٨، فقد وضع المد الإسلامي على رأس

---

(١) راجع مقال " هانوتو " في كتاب الدكتور محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، الطبعة الرابعة، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ٢٤ وما بعدها، وانظر الدكتور إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية، الطبعة الثالثة، دار لمعارف، بمصر سنة ١٩٧٦ ج١ ص ٢ وما بعدها.

(٢) الإسلام في مرآة الغرب ص ٤٦.

(٣) السابق ص ٤٤، وقارن هوفمان :الإسلام في الألفية الثالثة، ديانة في صعود ص ١٢.

قائمة الأعداء الذين يهددون الغرب، وفيه يقول المستشرق " كارداي فو " : إن الخطر الكبير الذي يهدد الدولة المسيحية في علاقتها بالعالم هو الإسلام، وإنه يتعين شق العالم الإسلامي وكسر وحدته الأخلاقية .

ولا ريب أن هذا الإطار يضم تلك المجموعة التي برزت في الغرب – وفي أميركا خاصة في السنوات القليلة الماضية، وهي المجموعة التي أصبح يطلق عليها اسم المستشرقون الجدد وأنصار الصراع والصدام بين الحضارات، وتضم مؤرخين وأكاديميين وصحفيين أمثال "برنارد لويس" و"هنتجتون" و"بايبس" و" جوديث ميللر " و " استيفن امرسون " وغيرهم ممن يتبنون فكرة الصدام بين الإسلام والغرب، ويرون حتمية الصراع باعتبار أن الإسلام هو العدو الحقيقي للغرب خاصة بعد انهيار العدو التقليدي " الاتحاد السوفيتي " الأمر الذي يؤكد صحة الملاحظة التي أبدتها " كارين آرمسترونج " في قولها : " يبدو الآن أن حربًا باردة ضد الإسلام توشك أن تحل محل الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي "(١) .

لكن الحقيقة التي تأكدت بعد الأحداث التي وقعت في أمريكا – أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١ – هي أن الحرب ضد الإسلام قد أصبحت حربًا ساخنة بدأتها الولايات المتحدة في أفغانستان، ثم في العراق، ثم تضع في قائمة منتظرة عددًا آخر من الدولة الإسلامية مثل إيران وسوريا والسودان وغيرها .

ولا شك أن آلة الإعلان الخطيرة في أمريكا والغرب عمومًا والتي تخضع بدرجة كبيرة للحركة الصهيونية تمارس دورًا كبيرًا في ترسيخ العداوة للإسلام، ولا غرابة في ذلك، فإسرائيل هي المستفيد الأول من هذا الوضع الماثل بين الإسلام والغرب لا سيما والإدارة الأمريكية الحالية تضم عددًا كبيرًا ممن يطلق عليهم اسم" المحافظون الجدد " أو " الاتجاه المسيحي الصهيوني " وهو الاتجاه الذي يتبنى فكرة الصراع أو الصدام بين

---

(١) الإسلام في مرآة الغرب ص ٢٥.

الغرب والإسلام، وينظر إلى الإسلام باعتباره التحدي الخطير للحضارة الغربية كما تدل على ذلك كتاباتهم وآراؤهم المعلنة عبر وسائل الإعلام المختلفة (١).

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن الإسلام من دون جميع الأديان السماوية والوضعية – هو الدين الوحيد الذي يتناوله الإعلام الغربي المعاصر تناولاً يتنافى مع أبسط قيم العدل والموضوعية – ويكفي أن نشير – على سبيل المثال لا الحصر إلى أن التلفزيون البرازيلي في يناير سنة ٢٠٠٢ ظل على مدى خمسة أشهر يعرض مسلسلاً يسير كله في اتجاه تشويه صورة الإسلام، والحط من شأنه ،والسخرية من أحكامه، ويصور العربي المسلم على أنه مخلوق فاسق وغادر ومخادع ومتعطش للدماء ومنحل أخلاقيا وشهواني إلى أبعد الحدود، وقادر بشكل كبير على المكيدة والمراوغة "(٢).

وإذا كان المقام لا يتسع للمزيد من الأمثلة فإنه لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين من جانبهم لم يكونوا طول تاريخهم أعداء لأية ثقافة أو حضارة لكن ما أزعجهم اليوم أنهم اكتشفوا أن روح العصور الوسطى – بما تنطوي عليه من حقد شديد على الإسلام والمسلمين – ما زالت تحيا قوية وفعالة في ثقافة الغرب، تقول آرمسترونج :

" لقد استجاب المسلمون دائمًا لأفكار من ثقافات أخرى ففي بداية هذا القرن كان مثقف بارز تقريبًا في العلم الإسلامي ليبراليًّا وداعيًّا للنزعة الغربية، من المحتمل أن هؤلاء كانوا يكرهون الإمبريالية الغربية، لكنهم تخيلوا أن الليبراليين في أوربا يقفون إلى

---

(١) لمعرفة حقيقة الإعلام ودوره في إشعال روح العداوة ضد المسلمين في أمريكا وتأثير الصهيونية عليه، انظر هوفمان : الإسلام في الألفية الثالثة ص ٢٤٠.

(٢) جريدة العالم الإسلامي، العدد الصادر في ٢٠٠٢/٥/٢٤ مقال الأستاذ أحمد صالح، وفيما يتعلق بوصف المسلم بأنه شهواني إلى أقصى حد، وهو الوصف الذي أطلقوه على نبي الإسلام ﷺ فإنه يرجع إلى عملية " إسقاط " من رجال الكنيسة، فقد " فرضت الكنيسة رهبنة قاسية على رجال الدين رغما عنهم، بهذا يتضح أن القطع الوصفية المدهشة لحياة محمد ﷺ الجنسية تكشف عن الكبت الذي كان يعاني منه المسيحيون أكثر مما تكشف عن حقائق تتعلق بحياة النبي " كارين آرمسترونج : الإسلام في مرآة الغرب، ص ٢٩.

جانبهم، وأنهم سيعارضون من هم على شاكلة اللورد كرومر، فالسبب الكامن وراء الانزعاج والغضب في العالم الإسلامي كان اكتشافه التدريجي للعداوة والحقد على النبي ﷺ ودينه اللذين كانا متأصلين في الثقافة الغربية، ولا يزالان يؤثران على سياسة الغرب في البلدان الإسلامية حتى في الفترة التالية للفترة الاستعمارية (١).

وهكذا لم ينطبع في أذهان الغرب على مر العصور عن الإسلام – كما يقول " هوفمان " سوى المعارك الحربية، مثل الحروب الصليبية، وحروب الأتراك العثمانيين .. وليس الازدهار الحضاري والثقافي للإسلام وفضله على حضارة الغرب وتقدمه (٢).

يمكننا بما سبق أن نتوصل إلى النتائج التالية :

أولا : أن الحديث الذي أخذ يتصاعد خلال العقود الثلاثة الأخيرة والذي بلغ ذروته بعد أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١ في أمريكا – هذا الحديث ليس جديدًا . فالمتتبع لتاريخ الاستعمار في البلاد الإسلامية يعلم يقينًا أنه كان يضع على رأس أولياته في هذه البلاد حتمية القضاء على الإسلام وحضارته باعتباره الخطر الأول على الغرب والتحدي الحقيقي للحضارة الغربية . وكان يزيد من خطورته في نظرهم أنه – كما عبر عن ذلك المستشرق الفرنسي" هانوتو" – الدين الوحيد الذي أمكن انتحال الناس له زمرًا وأفواجًا، وأنه الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق دين سواه، وأن سيف محمد والقرآن – بتعبير" موير" هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم عنادًا ضد الحضارة والحرية الحقيقية .

ثانيا : أن الصورة المعاصرة للإسلام في الغرب لها جانبان، أحدهما إيجابي والآخر سلبي موغل في العداوة لهذا الدين والكراهية للمسلمين .

أما الجانب الإيجابي فيتمثل في بعض الرؤى المبشرة عن الإسلام وحضارته كما

---

(١) كارين آرمسترونج : الإسلام في مرآة الغرب، ص٤٧.

(٢) مراد هوفمان : الإسلام في الألفية الثالثة ص ٦٩.

تظهر في كتابات بعض الكتاب من أمثال Betty Bowman و " توماس آرنولد "و" روم لاندو "و" ولفرد كانتويل سميث " وبريفالت "، بل إن هذا الاتجاه الإيجابي يتصاعد من خلال كتاب The Sun Rises in the west الشمس تشرق في الغرب " الصادر عام ١٩٩٩م"(١).

كذلك يظهر الفهم الموضوعي للإسلام وحضارته فيما كتبه عنهما " جوزيف هل " في كتابه " حضارة العرب، وفيه قوله : تتسم الأديان كلها بأنها تطبع تاريخ الإنسانية بطابعها، والمؤسسون والأنبياء ورسلهم له نصيبهم في حضارة عصرهم وشعبهم، غير أنه لم يتهيأ لأية ديانة ألبتة أن تصير دافعة أولى، وعلى نحو سريع ومباشر، لحدوث تغييرات حركت الدنيا كما صار الإسلام، وكذلك لم يتهيأ لمبلغ دين إلى المدى الكامل أن يصبح سيد عصره وشعبه كما أصبح محمد (عليه الصلاة والسلام) .. " .

وفيما يتصل بالحضارة الإسلامية يقول " هل " إنه لا يوجد عنصر حق في علم أو عمل، أو مبدأ خير واحترام للإنسان، أو روح قوة حقيقة مفيدة لإنسان، أو جانب سمو في تصور الوجود والكون والإنسان، أو نزعة طموح إلى معالي الأمور إلا ونجده في حضارة الإسلام، ولا يوجد مظهر حضاري راق في حضارة الأمم إلا وهو متوفر فيها .. " .

وفي هذا الإطار تأتي كتابات " روم لاندو " الذي يقرر في كتابه الإسلام والعرب " أن أسبانيا وأوربا برمتها أيضا مدينتان أعظم الدين لعبقرية المسلمين، إن العلم هو أجل خدمة أسدتها الحضارة العربية إلى العالم الحديث، فالإغريق قد نظموا وعمموا ووضعوا النظريات، ولكن روح البحث وتركيم المعرفة اليقينية، وطرائق العلم الدقيقة، والملاحظة الدائبة المتطاولة كانت غريبة عن المزاج الإغريقي، وإنما كان العرب هم أصحاب الفضل في تعريف أوربا بهذا كله، وينتهي "روم لاندو" من ذلك إلى القول : " وبكلمة فإن العلم الأوربي مدين بوجوده للعرب، هذا ما يقوله بريفولت وجورج سارطون .. " (٢).

---

(١)انظر السابق : ص ٢٤٢.

(٢) روم لاندو : الإسلام والعرب ص ٢٤٥ وانظر ص ١٨١، ٢١٢.

ومن الممكن أن نسوق العديد من الكتابات التي تبشر بعلاقة جديدة وسوية بين الإسلام والغرب، لكن هذا الاتجاه الإيجابي لا يمكن سماعه في ضجيج الثوابت القديمة التي يحتفظ بها الغرب من تراث العصور الوسطى والتي تعمل جهات متعددة لأغراض مختلفة على بعثها ونفخ الحياة فيها بشكل مستمر.

أما الجانب السلبي في هذا الصورة - صورة الإسلام المعاصرة في الغرب - فقد عرضنا فيما سبق الكثير من مفرداته، ويكفي أن نشير هنا إلى أن ما يقال عن الإسلام في هذا الجانب من الرؤية الغربية المعاصرة لا يهمل في مجمله أي عنصر من عناصر الصورة القديمة - صورة الإسلام في العصور الوسطى - سواء فيما يتصل بالإسلام كدين سماوي أو بالنبي ﷺ أو بالقرآن أو بالمسلمين .فالقرآن الكريم كما يصوره **Fay Weldom** ليس غذاء للفكر، بل هو أداة كبح للتفكير .إنه ليس قصيدة يرتكز علها مجتمع آمن وعقلاني . أنه يقدم أسلحة وقوة إلى الفكر البوليسي، فهو والفكر البوليسي يسيران سويًّا بكل سهولة، وهما يخيفان .. إنني آراه نصا محدودًا ومقيدًا عندما يتعلق الأمر بفهم ما أعرفه على أنه الله " (١).

والإسلام في نظرة " كونور كروز أو بريان " لا يستحق أي تقرير والمجتمع الإسلامي - كما يقول - " يبدوا مقرفًا جدًّا، يبدو مقرفًا لأنه مقرف .. فأي غربي يعلن عن التزامه بالقيم الغربية ويدعي أنه معجب بمجتمع إسلامي فهو إما منافق أو جاهل تمامًا أوفيه مسحة من كليهما " (٢).

وصورة النبيﷺ قد بقيت كذلك كما كانت في أساطير وخيالات العصور الوسطى، حتى أن المرأة الغربية اليوم - كما أشرنا من قبل - جعلت من اسمهﷺ " بعبعًا" تخيف به أبناءها حين لا يمتثلون لأمرها.

---

(١) نقلا عن كارين آمسترونج في مرآة الغرب، ص ٤٩.

(٢) السابق ص ٥٠.

وهكذا تسللت إلى الصورة المعاصرة للإسلام كل عناصر الصور القديمة مع اختلاف بسيط ربما في الأسلوب وفي محاولة اصطناع المنهجية والموضوعية، لكن هذه المحاولة لم تخف أن الحقد القديم على الإسلام – كما تذكر ذلك " آرمسترونج " ما زال مستمرًا في تصاعده على جانبي الأطلنطي، ونادرًا ما يتردد الناس في التهجم على الإسلام وإن تكن معرفتهم به ضحلة (١).

ذلك باختصار هو الجانب السلبي في الرؤية الغربية المعاصرة للإسلام، ومن لا يكتفي بكل مؤشرات التشويه والعداوة التي تكشف عنها هذه الرؤية فليتعمق – كما يقول " هوفمان " – في نسق الفكر الحتمي لفرنسيس فوكاياما، واستراتيجيات استبعاد الإسلام التي يتبناها صاموئيل هنتجون " (٢).

إن مشكلة الصراع أو الصدام التي أسسها هذا الفهم الخاطئ واللاعقلاني للإسلام قد يمكن حلها عن طريق الفهم الصحيح المتبادل بين أبناء الحضارتين الإسلامية والغربية بشرط أن تصدق النوايا من الجانبين، وأن يتخلى الغربيون عن الأفكار الخاطئة الموروثة عن العصور الوسطى، وخاصة تلك التي شاعت لديهم عن النبي ﷺ، والتي كانت سببًا رئيسيًّا من أسباب التباعد والضغينة، فإن محمداﷺ كما تقرر " آرمسترونج " قد اعتبر لقرون كثيرة النقيض للروح الدينية، والعدو لحضارة لائقة . بدلا من ذلك، ربما علينا أن نحاول رؤيته على أنه إنسان الروح الذي تمكن من جلب السلام والحضارة إلى شعبه، وإذا كان المسلمون – كما تقول – بحاجة إلى فهم تراثاتنا الغربية، ومؤسساتنا بشكل أوفى اليوم، فنحن في الغرب بحاجة إلى أن نجرد أنفسنا من بعض كراهيتنا القديمة، وربما الأنسب هو البدء بشخصية محمد ﷺ، فقد كان رجلا ذا مشاعر فياضة ،وشخصية مركبة ..

---

(١) السابق ص ١٣.

(٢) مراد هوفمان :الإسلام في الألفية الثالثة ..ص ٧٤.

وبلا شك كان لديه عبقرية عميقة يستعصي على الفهم ،وقد أسس دينًا وتراثًا ثقافيًا لم يكونا قائمين على السيف كما تقول الأسطورة الغربية فاسم دينه الإسلام، أي السلام والمصالحة "[1].

وطبيعي أن هذا التوجه لن يؤتي ثماره بين يوم وليلة أو حتى في عقود، لأنه يريد أن يهدم هرما كبيرا من العداوة تراصت أحجاره وتركبت عبر العديد من القرون، لكن هذا لو حدث فسوف يكتشف أبناء الحضارتين أن بينهما من القواسم المشتركة من المبادئ والقيم رصيدا يكفي لتحقيق مصالحة تاريخية بينهما، وهذا بالطبع يحتاج إلى ملاحظات وإيضاحات ودراسات لتاريخ الحضارتين لا يتسع لها المقام .

أخيرًا، نأتي إلى هذا السؤال : ألا يتحمل المسلمون جانبًا من المسئولية في رسم هذه الصورة المشوهة عن دينهم وحضارتهم ومجتمعهم ؟ لا شك عندي أن الإجابة على ذلك تحتاج إلى بحث مستقل .

---

(١) الإسلام في مرآة الغرب .. ص ٣١٢.